

رباعيات الخيام في 97 ترجمة لـ 93 من الشعراء والنائرين

بكار: مؤلفات الخيام من أهم ما كتب بالعربية من رياضيات.. ومن أبعدها أثراً في الفكر الإنساني

إن الألك ذاقوا حياة الرغد
قد عصف الموت بهم فأنطوا

إسماعيل مروة



الدكتور يوسف بكار

لم يحظ أثر عالمي وإنساني بالاهتمام كما حظيت «ألف ليلة و ليلة» وكما حظي عمر الخيام، بل رباعيات الخيام، فأعلى كانت بالرباعيات وليست بالخيام، وهي تسوع وجه الشبه بين الرباعيات وألف ليلة و ليلة من حيث النص، دون النظر إلى تأسيس النص لصاحبه كما في الرواية، أو التيكيت من الرباعيات وأصلتها ومخططاتها وعددها وأصلها ونسبتها إلى الخيام أو إلى عصره، هذه الإشكالية التي بدأت من المخطوطات والعدد والنسبة، ولا يزال الخلاف مستمراً، ولم يعد النظر يتوجه إلى الخيام وعلمه ومنجزه بقدر ما يتوجه إلى الرباعيات.. وقد تساءلت يوماً: إذا أنجز الخيام كل ما أنجز، ولم تستمر سيرة الخيام! لا من خلال الرباعيات! فلو لم تكن الرباعيات فهل سمعتما بالخيام؟!

الرباعيات في العربية

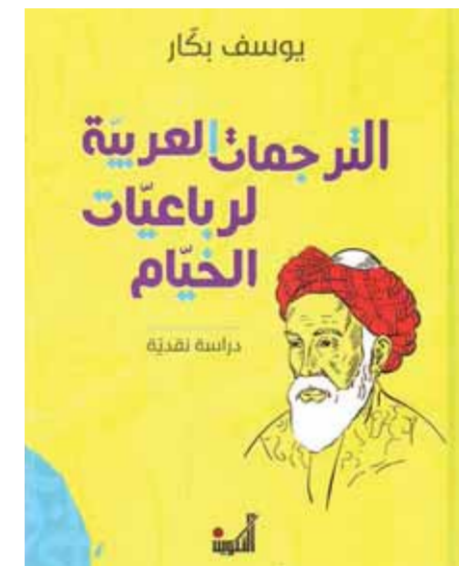
بداية أعترف، وأنا متخصص، هذا الكم الكبير والمميز من ترجمات رباعيات الخيام الذي جمعه أستاذنا العالم الجليل يوسف بكار، فقد جمع 49 ترجمة شعرية للرباعيات و 38 ترجمة نظرية لها، وعشر ترجمات شعبية زجلية، وهذا الجمع اللخير لا يخفى على واحد، وخاصة عندما نقرأ ترجمة نظرية الدكتور بكار نفسه، فهو ليس جامعاً فقط، بل هو المعنى والمترجم والمتعمق في هذا الميدان.. منذ بداية العهد بالآداب تنتمت على كتب الدكتور بكار وتحقيقاته النفيسة من اتجاهات الغزل، إلى شعر ربيعة الرقي إلى شعر زياد الأعجم وغيرها من الكتب، وهذا الكتاب الجديد في طبعه الثانية عن دار التكوين دمشق- المشاركة يفصح عن هوية الدكتور بكار في ميدان البحث والتحقيق والإحسان كما سئرى.. اليوم لو سلنا كثيرين من المتخصصين في الترجمة أو العربية أو الفارسية أو الإنكليزية أو الفرنسية عن ترجمات الرباعيات، ربما يعهد المتخصص أربع ترجمات في أحسن الأحوال، ونسمع منه كلاماً قويميا لهذه الترجمات يدل دلالة قاطعة على أنه لم يقرأ ما يتحدث عنه، وإنما كان نقلاً عن نقل.. فمآذا عن هذا الكتاب الذي أنجزه الدكتور الجليل يوسف بكار واستغرق منه سنوات وأسفاراً؟

المنهج والإحاطة

هذا العمل الموسوعي بجدارة استطاع أن يجمع هذا الكم الكبير من ترجمات الرباعيات الشعرية والنثرية والشعبية، واستلزم ذلك منه سنوات من الجهد والتعب والدأب والتفكير، وتجيأ له السفر إلى بلدان ومدن وأماكن بعيدة لإتمام الاستقصاء، وهذا ما جعل الكتاب أوسع موسوعة عن رباعيات الخيام وحدها، ووصلت الموسوعة إلى 750 صفحة من القطع الكبير وقد قسم الدكتور بكار كتابه إلى: 1- مداخل ثنوية: عمر الخيام والرباعيات فينجزيلها وترجمتها؛ فن الرباعية في الفارسية/الخطائيات والمنايات والثلاثيات والمثلثات/ المبرعات والمنايسات والمخصسات/ المسدسات والمسيجات/ نظام الدين الأصفهاني أول مترجم لرباعية من رباعيات الخيام/ الترجمات العربية تاريخ ومخرجات.

وهذا الفصل الذي أخذ ثمانين صفحة من الكتاب من الضرورة بمكان، وصورته تأتي بالدرجة الأولى من خبرة المترجم والباحث، ولولا تمكنه العالمي لم يكن هذا الفصل ممكناً، وأزعم أن هذا الفصل ضروري للغاية لفهم هذا الفن حتى لا يبقى عند القارئ من البلاغات، إضافة إلى ما تقدمه الدكتور بكار عن الخيام وإسهاماته العلمية، والرباعيات وظروف نشأتها، والبيئة الفكرية والاجتماعية التي عاش فيها الخيام، «قد تفقد الحكيم وهذا أحد ألقابه الكثيرة، اللغة العربية وتعلم بها وعلّم، وحاور بعض علماء عصره وناظرهم وأجاب عن أسئلاتهم، ودونَ جُلّ مؤلفاته العلمية والفلسفية وترجم منها إلى الفارسية، ونظم شعراً عربياً.. في حين أنه لم يشتهر في العصر

وأأنجز الدهر لهم ما وعد
وأحتضنوا تحت تراب الأبد



38 ترجمة قام بها عدد من الأدباء الناشرين العرب، ومنهم كذلك المشهور والمغمور، وضمن هذا القسم كانت ترجمة المؤلف للرباعيات وقد عرضها كما عرض عرف وأشهر بقوم الحكمة التي كانت تهب آنذاك.. إلى الفلك والرياضيات والنجوم والطبيعات والفلسفة وما يتصل بها جميعاً.. والأخبار والمعلومات عن نشأة الخيام وحياته الخاصة نزره، ويستفاد من بعض روايات البيهقي أنه كان في تصرفاته وأخلاقه سبي الخلق وأنه كان حافظاً سريع الحفظ».

ويذكر الدكتور بكار في موضع آخر ما يبحث القارئ وعرفته «البيست القضية أن الخيام نظم الرباعيات أو لم ينظم، لكنها في عدد ما نظم، إذ جعل عدد الرباعيات يزداد قش، بل إن المؤلف بعلميته كلف نفسه الكثير حين جمع كل منظوم ومؤثور، وزاد على ذلك ما لا يطلب منه وهو نسبة عمياء حتى ظن المستشرق الألماني فريدريك روزن أنها قد تصل إلى خمسة آلاف».

هنا ضروري لمعرفة أسباب اختلاف العدد والرباعيات بين ترجمة أخرى، وتعدد الأصوات فيها.

2- القسم الثاني شمل الترجمات والمعلومات العربية التي وصلت إلى 49 ترجمة شعرية منظومة لعدد من الشعراء العرب، ففهم المشهود والمعروف فيهم العادي، وفهم من لم يعرف عنه غير الرباعيات المترجمة، ولولا جهد المؤلف لم يسمع به أحد ومجرد استعراض أسماء الشعراء الذين تحدث عنهم يظهر مقدار الجهد الذي بذله، والغنى الذي أضفاه للمكتبة العربية، وقد وقفت عند عدد من هذه الأسماء احتراماً لما قدمته، ومن هؤلاء الفčan المصري الكبير أحمد الخميسي، الذي عرفته من خلال هذا العمل أنه كان شاعراً ومترجماً قبل أن يكون ممثلاً، وترجمته/ فن الرباعية في الفارسية/ المترجم عن المؤلف مع عدد من الشعراء المغمورين الذين عرف بهم، ويحدم للدكتور بكار علميته، إذ كان حريصاً أن يخصن كل ترجمة بعدد من المواقف:

أ- التعريف به ولادة ووفاء، أو ولادة وهو على قيد الحياة، أو وفاة إن جهل تاريخ وولادته، ويعرف به وبرحلته العلمية وإنتاجه.

ب- يبين ترجمته واللغة التي ترجم عنها ويجيدها، إن كانت الفارسية أو لغة وسيطة، وربما كانت عن ترجمة عربية ثنوية.

ج- النظرة التقويمية لكل ترجمة ومقارنتها بالنص الفارسي الأصلي للرباعية، وجل الأخطاء كانت تتعامل مع النص ولا تعتد بأراء النقاد الذين سبقوا.

د- تحديد الأسبقية في الترجمة عند كل ترجمة، وبيان مصادرها، إضافة إلى الوقوف عند الأبحر والوقافي ومواصفات الرباعية التي عرفت بها.

3- القسم الثالث: الترجمات الثنوية التي وصلت إلى

مصعب ايوب

دراسة جديدة تختص بالصوتيات والكلام المنطوق والتنظيم الصوتي، أعدها الباحث هاني محمد طالب بالمشاركة مع رضوان القصاني بعد اكتشافهما وجود شح في الدراسات الجدية المتكاملة عربياً التي وضعت في هذا الشأن مقابل كثرتها لدى الباحثين الغرب من روس وإنكليز وفرنسيين وغيرهم، وكان أن عنونت الدراسة الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب بالتنشكيل التقني في المنظومة العربية، دراسة تأسيسية نظرية ومخبرية».

صعوبة الدراسة

تأتي صعوبة هذه الدراسات من جانبين، أولهما بسببه غياب المخابر اللغوية في معظم جامعات الوطن العربي، وهو ما يعد صعوبة وعقبة كبيرة في وجه الباحث الذي يقصد دراسة هذا الجانب وهو ما يشكل أساساً عقبة في طريق الدراسات الصوتية عموماً.

وثانيهما غياب المراجع المعمدة لذلك أو الأبحاث السابقة، إلا ما يكتب على خجل وضمن أسطر قليلة قصيرة أو ما يترجم عن دراسات معدة مسبقاً في دول غربية.

نظري ومخبري

وقسم الباحثان الدراسة إلى قسمين اثنتين: الأول نظري فيه فصول متعددة بلغت 4 فصول، ففتتوا لا في الفصل الأول تحديد مصطلح التنظيم ومكوناته في معاجم المصطلحات، والتنظيم وحركاتها في العبارة والشدة والطول والوقف في النطق وتلويح الكلام الانفعالية. في حين كان الفصل الثاني حول التنظيم في البحث الصوتي القديم، فوجدنا أن القمام قد استخدموا التنظيم بفتاتهم جميعاً، ومنهم الفلاسفة الذين استخدموا هذا المصطلح كاستخدامنا نحن اليوم له، وتناول الفصل أيضاً التنظيم لدى علماء التجويد ولدى النحاة والبلاغيين.

فيما تناول الفصل الثالث التنظيم في البحث الصوتي الحديث من خلال التطرق لبعض الدراسات الحديثة

لكل وجه من وجوه المخاطبة طريقة نطقية خاصة

التأكيد على أهمية تعليم التنغيم الصحيح للعربية وربطه بالدلالة التركيبية

– تأكيد أهمية تعليم التنغيم الصحيح للعربية وربطه بالدلالة التركيبية، وضرورة الانطلاق من أن المنطوق هو الأساس في تفسير المكتوب.

– التمييز بين جانبيين في التنغيم، الأول إبلاغي يخبرنا أن الجملة انتهت أم لم تنته، وهل العبارة سؤال أم جواب أم خير؟ والثاني شعوري انفعالي تنقل ما لدى المتكلم من حالة شعورية.

أنماط تنغيمية

كما توصل البحث في تحليله لأنماط النحوية البلاغية مخبرياً إلى سبعة أنماط تنغيمية:

الأول: مستوى صاعد– هابط مع محور النغمة الأساسي، وتندرج ضمنه عبارة الاستفهام التي لم تحذف منها أداة الاستفهام.

الثاني: مستوى عال– صاعد يبقى فوق مستوى النغمة الأساسي، وتندرج ضمنه عبارة الاستفهام التي حذف منها أداة الاستفهام.

الثالث: مستوى عال– هابط يبدأ من ذروة نطقها أداة النهي فوق مستوى النغمة الأساسي وينتهي فوق مستوى النغمة أيضاً، وتندرج ضمنه عبارات النهي.

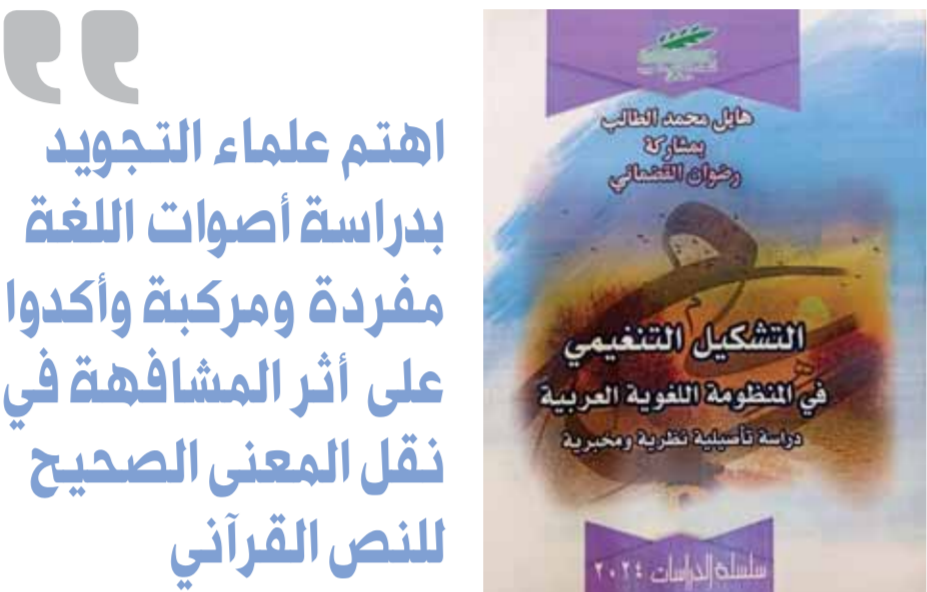
الرابع: مستوى عال صاعد– هابط يبدأ فوق مستوى النغمة الأساسي ثم يصعد إلى الذروة ثم يهبط ولكنه لا يتجاوز محور النغمة الأساسي، وتندرج ضمنه عبارة الأمر.

الخامس: مستوى هابط– صاعد ذروته فوق مستوى النغمة وقاعه تحت مستوى النغمة الأساسي، ويندرج ضمنه التنهي والنداء.

وفي الختام قدم المؤلفان نتائج البحث وجدولاً بالمصطلحات التي وردت فيه وبعض المراجع التي نقلت عنها، ومن بعض النتائج: إدراك علمائنا في درس التراثي الصوتي لمفهوم التنغيم وإدراكهم لوظيفته.

أهتم علماء التجويد بدراسة أصوات اللغة ذاتها مفردة ومركبة، وأخذاً على أثر المشافهة في نقل المعنى الصحيح للنص القرآني وأن لكل وجه من وجوه المخاطبة طريقة نطقية خاصة، علماً أن النحاة واللغويين كانت دراسة الأصوات عندهم لغرض منهجي نحوي أو صرفي أو معجمي.

– اللغة ظاهرة إنسانية تجمع بين المظهر المادي المتمثل في أصواتها وبين المظهر المعنوي المتمثل في التفاهم عبر وسائل من كلمات وجمل.



جانبان في التنغيم

وتحديد القيمة العلمية لها ومحاولة الاستفادة القصوى منها.

وفي الفصل الرابع من القسم الأول «النظري» انطلقنا من مبدأ التمييز بين مستويين من مستويات اللسان، مستوى صوتيات اللغة ومستوى صوتيات الكلام، ومن التمييز بين الكلام المكتوب والتنغيم والوحدة الكلامية. ففهم منظومي للغة، وقد نوقش في هذا الفصل التنظيم والوحدة اللغوية والتنغيم والوحدة الكلامية.

أما القسم الثاني وهو المخبري فقدم شرحاً وافيّاً عن مرحلة إعداد المادة الصوتية ومرحلة تحليلها بعد إجراء التجارب المخبرية.

كما تناول هذا القسم توصيف الأنماط التنغيمية في الكلام العربي وفقاً لمعطيات الصور المخبرية متناولاً في تنغيم الاستفهام والطب والنداء والتثني والخبر وغيرها.



وفي الختام قدم المؤلفان نتائج البحث وجدولاً بالمصطلحات التي وردت فيه وبعض المراجع التي نقلت عنها، ومن بعض النتائج: إدراك علمائنا في درس التراثي الصوتي لمفهوم التنغيم وإدراكهم لوظيفته.

أهتم علماء التجويد بدراسة أصوات اللغة ذاتها مفردة ومركبة، وأخذاً على أثر المشافهة في نقل المعنى الصحيح للنص القرآني وأن لكل وجه من وجوه المخاطبة طريقة نطقية خاصة، علماً أن النحاة واللغويين كانت دراسة الأصوات عندهم لغرض منهجي نحوي أو صرفي أو معجمي.

– اللغة ظاهرة إنسانية تجمع بين المظهر المادي المتمثل في أصواتها وبين المظهر المعنوي المتمثل في التفاهم عبر وسائل من كلمات وجمل.

برجك اليوم 10/28



نجلاء قيباني

قد تصبح الأمور مهتزة وقد تصطدم من حب لعدم رضاك عن أدائه أو عن تصرفاته وربما السبب نزاعات أو تأجيل أو عراقيل وكانني أراك منغلما من خيبة أمل أو من نهم باطله.

عاطفياً: اليوم أنت نرق وهذا يجعلك عصبياً قليلاً أو حساساً أو غيوراً وقد تأخذ قرارات خاطئة.

ربما أخطأه مالية تحاول إصلاحها وتنظيمها فسيطر على نزاعك في الإسراف والتبذير مساعدات محتملة تعيد لك الأتزان أو الهوء فأرفض أن تصرف مالك على الرفاهية. عاطفياً: أنت سعيد نتيجة المحبة التي تحيط بك سواء من الأهل أو المعارف أو الشريك.

اليوم للفرص التي تحولها لإنجازات عملية وتستفيد منها دون أن تظن في إطار النظريات وقد تمنحك تحرراً من قيود طائما لإزمتك وتنتكخ في عالم من الحرية الفكرية والعلمية.

عاطفياً: لا تتردد في طلب المساعدة ولا تكن خجولاً في طلب الدعم حين تحتاجها.

لا تسمح للضعف أو العزلة أو الصمت أو الأخطاء أن تشل حركتك أو تسببك الهدف الذي تسعى إليه فأنت ميال للطوس في المنزل وهذا ما لا تصحك به بل تغلب على أي صعقات حوك ولا تنسحب من المشاكل.

عاطفياً: يوم للمشاكل وغالباً ستكون عائلية ما، وهذا يجعلك عصبياً وإذا مزاج رديء فأحذر الصراحة الجارحة.

أنت ضاحك بكل المعايير في تقديم نفسك بطريقة جيدة لمحيطك الاجتماعي فأنت تفكر فوائد الإبتسامه واللفظ في التعامل مع محيطك لذلك ادفع بالمرزيد من اللطف والديبلوماسية في دروب علاقاتك بين حوك.

عاطفياً: أنت تتعاون مع أصداكك وحفائك وتعتمد على من تنق في رأيه أو في محبته.

يوم للتعاون والتضامن مع المحيط وإنشاء أعمال كثيرة ومشاكل ومهومات مطلوبة وراقب صحكت وحاول إجراء الفحوص الضرورية تحسباً لأي طارئ صحي وانته بعلمك.

عاطفياً: تترك ضرورة الشريك في حياتك وضرورة وجود العواطف الصادقة والحياة الأسرية.

الفرص كمد البحر موجه إلى الأمام وموجه إلى الخلف وحين تكون الموجه إلى الأمام يجب عليك استقبالها وتنشيط الفرصة لأنها ستعود بعد قليل للرجوع إلى إليه من ترجمة فقام بترجمتها بنفسه..

ويضاف إلى ذلك تسامح المؤلف في عرض الترجمات، سواء كانت من اللغة الأصلية، أم من لغة وسيطة، أو كانت مجرد صياغة نطقاً أو نثراً لترجمة قام بها غيره.

كل من يعزز مكانة الموسوعة في حال أريدنا القيام بدراسة نظرية تقويمية لنجاح الترجمات، وأسرابتها، وما نتج عن ذلك.

«أصول الترجمات كثيرة ومتفاوتة: فارسية، وفارسية وتركية معاً، وإنكليزية عن فينجزيرال وغيره، وفرنسية، وإيطالية مترجمة عن الإنكليزية.. فاما المخطوطات ففن عدد من الترجمات العربية كما هو منقول في كل منظومة».

تدق كون الرباعيات من الأثر الإنساني القليلة التي حازت هذا القدر من الأهتمام، والسؤال: لماذا لم يركن الأدباء العائلية لأنها تحتمل مسؤولية فحاول بحث أمورك بهوء.

عاطفياً: أنت متعب أو محبط لأنك قد تستاء من مواقف لدى الأصداك.

تشعر أن الأوضاع متقلبة ويجب أن تستفيد من كل هذا القدر من مفاعلت سارة، فيصلح من حوك واغفر أخطاها فكن ذا نخطى واليوم جميل للمصالحات واللقاءات.

الترجمات العربية لرباعيات عمر الخيام جهد كبير لعالم جليل الأستاذ الدكتور يوسف بكار، ويستحق الوقوف عنده لما فيه من خبرة وعلم وقويم.